Journal Of the Iraqia University (73-8) June (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

دراسة سيميائية للمكان والزمان في رواية "برلين ٦٩" لصنع الله إبراهيم

١-د. حسين تك‌تبار فيروزجائي؛ أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

٢- مصطفى حسن علي؛ طالب الدكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

٣- د. مهدي ناصري؛ أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

Hossein Taktabar Firouzjaei: Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, University of Qom.

Mustafa Qaraghouli; PhD student in the Department of Arabic Language and Literature, University of Qom.

Mahdi Naseri: Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, University of Qom.

الملخص

تتناول هذه الدراسة سيميائية المكان والزمان في رواية "برلين ٦٩" لصنع الله إبراهيم، حيث تعتبر الرواية واحدًا من الأعمال الأدبية المهمة التي تعكس التحولات الاجتماعية والسياسية في فترة الحرب الباردة. تسلط الدراسة الضوء على كيفية تجسيد المكان والزمان ضمن السرد الروائي، وتناقش العلاقات المعقدة بين هذين العنصرين، حيث يشكلان الإطار الأساسي لفهم الأحداث والشخصيات في النص.تتمثل المشكلة الرئيسية التي تتناولها الدراسة في كيفية تأثير المكان والزمان على تشكيل الأحداث السردية وتطوير الشخصيات في رواية "برلين ٦٩". تتضح أهمية البحث من خلال تسليط الضوء على دور السيميائية في تحليل النصوص الأدبية، حيث تساهم هذه المنهجية في تفكيك الرموز والدلالات المرتبطة بالمكان والزمان، مما يعزز من فهم القارئ للعوالم الروائية المختلفة. تهدف الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد السيميائية للمكان والزمان في الرواية، وذلك من خلال تحليل كيف يعكس المكان الجوانب النفسية والاجتماعية للشخصيات، وكيف يُستخدم الزمن في بناء الحبكة وخلق التوتر. يعتمَد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يمكّن الباحث من تحليل النصوص بشكل دقيق، وتطبيق المفاهيم السيميائية المناسبة لفهمها. تتضمن النتائج التي توصلت إليها الدراسة العديد من النقاط الجوهرية التي تعكس الأدوار الحيوية للمكان والزمان في رواية "برلين ٦٩". تبين أن المكان المركزي في الرواية، وهو مدينة برلين، يعكس جوانب متعددة من الهوية الاجتماعية والسياسية للشخصيات، مما يعزز من دلالة الفضاء المعبر عن صراعاتهم الداخلية والخارجية. على سبيل المثال، تمثل الأماكن المغلقة مثل الشقة التي يسكن فيها الشخصيات شعورًا بالأمان والاحتواء، بينما تضفي الأماكن المفتوحة، مثل الشوارع والساحات، شعورًا بالحرية والتوتر المعقد المرتبط بالتغيرات الاجتماعية. كما تشير النتائج ايضا إلى أن الزمن يُستخدم لربط الأحداث المختلفة، حيث يتم توظيف تقنيتي الاسترجاع والاستباق لبناء عمق السرد، مما يوفر للقارئ فرصة لفهم الخلفيات التاريخية والنفسية لأحداث الرواية. يساعد الاسترجاع في تعريف القارئ بتجارب الشخصيات السابقة، بينما يخلق الاستباق حالة من الترقب والفضول حول ما سيحدث لاحقًا. واستخدام السرد المتعدد الزوايا يسهم في تشكيل تصور شامل للمكان والزمن، حيث يُبرز وجهات نظر مختلفة للشخصيات حول الأحداث والأمكنة، مما يعزز من تعددية المعاني داخل النص. كما تم الإشارة إلى التأثير النفسي للمكان على الشخصيات، إذ تؤثر الأماكن التي يمرون بها على مشاعرهم وقراراتهم. كما تسلط النتائج الضوء على التداخل بين المكان والزمان، حيث يكمن المعنى العميق للأحداث في كيفية تفاعل الشخصيات مع البيئة المحيطة بهم خلال زمن محدد، مما يعكس تعقيدات العلاقة بينهما. في ختام النتائج، تؤكد الدراسة على أهمية السيميائية في فهم الرواية، حيث تسهم في الكشف عن دلالات جديدة ومعقدة تعزز من قيمة العمل الأدبي وتجعلها مادة غنية للدراسة التحليلية.**الكلمات المفتاحية:** السيميائية، المكان، الزمان، رواية برلين ٦٩.

١. المقدمة

تعد الرواية أحد أبرز الفنون السردية التي تسهم في تشكيل وعي الإنسان وتوثيق تجاربه الاجتماعية والسياسية. ومن بين الأعمال الأدبية المعاصرة، تبرز رواية "برلين ٦٩" للكاتب المصري صنع الله إبراهيم، كعلامة بارزة في الأدب العربي الحديث، إذ تستعرض تجربة شخصية واجتماعية في ظل التحولات التاريخية والسياسية الكبرى التي شهدتها فترة الحرب الباردة. يعتبر تحليل المكان والزمان من العناصر الأساسية لفهم المعاني العميقة المضمنة في النصوص الروائية، حيث يُمثلان إطارين حيويين يشكلان أرضية الأحداث والشخصيات، ويعكسان تطورها وتفاعلاتها.في هذا السياق، يهدف البحث المعنون "دراسة سيميائية للمكان والزمان في رواية 'برلين ٦٩'" إلى تقديم تحليل شامل ودقيق للعناصر المكانية والزمانية في الرواية، مستعرضًا كيفية تشكل الدلالات والرموز المتعلقة بالفضاء والزمان. فالمكان لا يُعتبر مجرد خلفية للصراعات والأحداث، بل هو عنصر فاعل يسهم في تشكيل وقائع الشخصيات ويكشف عن أبعاد عميقة من الهوية الثقافية والتاريخية. كما أن الزمن، بوصفه عنصراً سيميائياً، يُستخدم لتطوير سرد الأحداث وتقديم تفاعلات الشخصيات مع محيطها والزمن الذي تعيش فيه. يتبع هذا البحث منهجًا سيميائيًا يتيح للقارئ فهم العلاقة الجدلية بين المكان والزمان، وكيف تؤثر هذه العلاقة على بناء النص الروائي واستيعاب القارئ للدلالات الكامنة فيه. ويتوزع البحث على عدة محاور رئيسية تشمل تحليل سيميائية المكان والكشف عن تقنيات الزمن، مما يسهل قراءة النصوص من زوايا متعددة، ويمنح الفرصة لاستكشاف المعاني غير المرئية.إن أهمية هذا البحث تنبع من الحاجة إلى تعميق فهمنا للأدب العربي المعاصر، وخاصة في ظل التحديات الاجتماعية والسياسية التي واجهتها الشعوب العربية. وعليه، يأمل هذا البحث في إسهامه في الدراسات الأدبية المعاصرة وفتح آفاق جديدة لدراسة العلاقات المعقدة بين العناصر السردية في الرواية.إن السيميائية علم يستمد أصوله ومبادئه من مجموعة كبيرة من المعارف مثل اللسانيات والفلسفة والمنطق والأنثروبولوجيا والتحليل النفسي فتأثرت بهم، وتهتم السيميائية بجميع مجالات الفعل الإنساني فهي وسيلة لقراءة كل أشكال السلوك الإنساني بدءًا من الإنفعالات البسيطة والطقوس الاجتماعية حتى الأنساق الإيدلوجية الكبرى. وتعد السيميائية إحدى المناهج النقدية الغربية الحديثة حيث تبلورت على يد مؤسسها العالم السويسري فرديناند دوسوسير بوصفها علما يدرس حياة العلامات من داخل الحياة الإجتماعية المتداولة في الوسط المجتمعي، وتهدف السيميائية إلى مقاربة الخطابات النصية المتعددة ورصد جميع الأنشطة الإنسانية بالتفكيك والتركيب، والتحليل والتأويل للكشف عن آليات توضيح المعنى وتحديد دلالاتها العميقة لفهم البنى النصية وتفسيرها على مستوى البنية السطحية. وقد لاقت السيميائية اهتماما كبيرا عند علماء العربية نتيجة الترجمة والدراسة في الجامعات الغربية والاطلاع على ما ينشر في أوروبا فظهرت السيميائية في المغرب العربي أولا ثم بعض الأقطار العربية بعد ذلك من خلال المحاضرات ونشر الكتب في الثمانيات من القرن الماضي وعُرفت لدى علماء العرب باسم السيموطيقيا. إن العلاقة بين الزمان والمكان "علاقة جدلية لها طابع التلازم الحتمي والضروري في الأعمال الروائية، فهما الأساسان اللذان يقوم عليهما النص الروائي" ، ولأن موضوع سيميائية المكان والزمان ذات نطاق واسع لا يمكن لبحث صغير أن يغطي اتساعه أردنا في بحثنا الموسوم ب(سيميائية المكان والزمان في رواية "برلين ٦٩" لصنع الله إبراهيم) أن نغوص ولو قليلا في هذا البحر العظيم الزاخر بشتى أنواع اللآلئ والدرر، وقد وقع الاختيار على هذه الرواية –تحديدا– لما يحمله من دلالة تحيل إلى البعد المكاني أو الجغرافي فضلا عن لفت انتباه القارئ وتشويقه إلى السفر إلى برلين والتعرف عليها خلال عام ١٩٦٩م. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وفق المقاربة السيميائية والتأويلية في قراءتنا السيميائية للرواية. وقد اقتضت طبيعة البحث أن تقوم بعد هذه المقدمة على تمهيد حول مفاهيم ومصطلحات البحث، ومبحثين اثنين جاء المبحث الأول تحت عنوان (سيميائية المكان في رواية "برلين ٦٩") وخُصص لدراسة سيميائية المكان ومن ثم التطبيق على رواية "برلين ٦٩"، ثم المبحث الثاني موسوما ب (تقنيات الزمن في رواية "برلين ٦٩")، وتوّج هذا البحث بخاتمة أشرت فيها إلى أهم النتائج التي توصلت إليها.

٢. مفاهيم ومصطلحات البحث

٢.١. ماهية السيميائية

٢.١.١. السيميائية لغة

جاء في لسان العرب في مادة (سوم) السُومةُ والسُيمةُ، والسيماء، والسيمياء: العلامة، ويقال وسوم الفرس: جعل عليه السيمة. وقيل الخيل المسومة هي التي عليها السُيما والسومة هي العلامة .ولقد وردت كلمة سيمياء في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" (البقرة: ٢٧٣)، وأيضًا قوله تعالى: "وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ"(الاعراف: ٤٦).

٢.١.٢. السيميائية اصطلاحا

مصطلح السيميائية هو علم الإشارات أو علم الدلالات، وقد تعددت تعريفات السيميائية منها "العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات سواء أكانت لغوية أم أيقونية أم حركية، وبالتالي إذا كانت اللسانيات تدرس الأنظمة اللغوية فإن السيمولوجيا تبحث في العلامات غير اللغوية التي تنشأ في حضن المجتمع، وعليه فإن اللسانيات جزء من السيمولوجيا ما دامت تدرس جميع الأنظمة كما أشار العالم السويسري فرديناند دوسوسير .

ويعرفها مؤسسها العالم دوسوسير بأنها "العلم الذي يهتم بدراسة العلامات داخل الحياة الإجتماعية فهي ستعلمنا مما تتكون العلامات والقوانين التي تحكمها" .ومن أعم وأشمل تعريفات السيميائية تعريف مونان الذي يرى أن السيميائية هي العلم العام الذي يدرس كل أنساق العلامات أو الرموز التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس . أمَّا السيميائية عند سعيد بنكراد هي تعني "دراسة العلامات داخل الحياة الاجتماعيّة، وهي في حقيقتها كشف واستكشاف العلاقات الدلاليّة غير المرئيّة" .

٢. ماهية المكان

٢.١. المكان لغة

ورد في لسان العرب لابن منظور تحت جذر (م.ك.ن): "المكان والمكانة واحد مكان في أصل تقدير الفعل مفعل لأنه موضع لكينونة الشيء فيه، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعال والمكان: الموضع والجمع أمكنة كقذال وأقذلة وأماكن جمع الجمع" . وجاء في المعجم الوسيط: "المكان جمع أماكن وأمكنة، وأمكن موضع كون الشيء والمكانة جمع الجمع الموضع، المنزلة، ويقال مكين فيه؛ أي موجود فيه" المكان اصطلاحا: إن مصطلح المكان حديث النشأة والظهور في النقد العربي وفي الساحة الفنية الغربية، وشغل هذا المصطلح اهتمام النقاد والمفكرين والفلاسفة قديما وحديثا. فالمكان هو "البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخيلي" ولقد أولى الناقد "عبد الملك مرتاض" المكان أهمية كبيرة في دراساته وعرَّفه بأنَّه "هو كل ما عني حيزا جغرافيا حقيقيا من حيث نطلق الحيز في الحد ذاته على كل فضاء جغرافي، أو أسطوري أو كل ما يند عن المكان المحسوس، كالخطوط والأبعاد والأحجام...." وهذا يعني أن المكان غير مقتصر على الفضاء الجغرافي فقط بل يشمل أيضا كل ما يتعلق به.

٣. ماهية الزمن

٣.١. الزمان لغة

"الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، وجمعه أزمان وأزمنة وعامله مزامنة، والزمن كما يقال مشاهرة من الشهر، ورجل زمن أي مبتلي وزمن من باب سلم" الزمان اصطلاحا: هو "المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة، وميّز كل فعل وكل حركة، بل إنَّها بعض يتجزأ من كل الموجودات، وكل وجوه حركتها ومظاهرها وسلوكه"ويرى عبد الملك مرتاض أن الزمن "خيط وهمي لا يمكن الإمساك به لأنَّه مظهر نفسي لا مادي ومجرد لا محسوس، ويتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر لا من خلال مظهره في حد ذاته" .

٤. مفهوم الرواية

الرواية "فن نثري تخيلي طويل نسبيا بالقياس إلى فن القصة القصيرة مثلا، وهو فن يعكس عالما من الأحداث والعلاقات الواسعة والمغامرات المثيرة والغامضة أيضا، وفي الرواية تكمن ثقافات إنسانية وأدبية مختلفة، ذلك أن الرواية تسمح بأن ندخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء أكانت أدبية أو خارج أدبية" . أو هي "إبداع أدبي خيالي نثري طويل نسبيا يقوم على رسم شخصيات ثم تحليل نفسياتها وأهوائها وتقصي مصيرها ووصف مغامراتها" .

٥. نبذة عن حياة الروائي صنع الله إبراهيم

ولد صنع الله إبراهيم في ٢٤ فبراير ١٩٣٧م في القاهرة، وكان لوالده أثر كبير على شخصيته إذ زوده بالكتب وحثه على الاطلاع ممَّا ساهم في تكوين شخصيته الأدبية والفكرية، ينتمي صنع الله إلى الفكر اليساري، وسُجن أكثر من خمس مرات من عام ١٩٥٩م إلى عام ١٩٦٤م وذلك في سياق حملة شنها الرئيس جمال عبد الناصر ضد اليسار، وانتقل إلى برلين الشرقية عام ١٩٦٨م للعمل في وكالة الأنباء الألمانية، ثم سافر إلى موسكو لدراسة التصوير السينمائي، وعمِل لمدة ثلاث سنوات أخرى في صناعة الأفلام، ثم عاد إلى مصر عام ١٩٧٤م، وتفرغ للكتابة كليًا عام ١٩٧٥م، وهو واحد من أبرز الروائيين والكتاب المصريين الذين يتمكنون من السرد والحكي، وتتميز أعماله الأدبية بصلتها الوثيقة التشابك مع سيرته من جهة ومع تاريخ مصر من جهة أخرى، وله العديد من المؤلفات بلغت أربعة وأربعين مؤلفا من أشهرها رواية وردة، شرف، نجمة أغسطس، الجليد، ذات، بيروت بيروت، العمة والقبعة، برلين ٦٩، وغيرها بالإضافة إلى القصص القصيرة وقصص الأطفال، وهو من الكتاب المثيرين للجدل وخاصة بعد رفضه استلام جائزة ملتقى القاهرة للإبداع الروائي العربي عام ٢٠٠٣م والتي يمنحها المجلس الأعلى للثقافة، واختيرت روايته "شرف"

كثالث أفضل رواية عربية حسب تصنيف اتحاد الكتاب العرب ونال صنع الله إبراهيم جائزة ابن رشد للفكر الحر عام ٢٠٠٤م. ومن الجدير بالذكر أن إبراهيم قد امتدت زيارته لبرلين من عام ١٩٦٨م وحتى عام ١٩٧٤م ثم قرر العودة إلى القاهرة.

٢. لمحة عن رواية "برلين ٦٩"

تعد رواية "برلين ٦٩" للكاتب صنع الله إبراهيم رواية تاريخية جغرافية اجتماعية إذ جاءت توثيقا لسيرة مكان في إحدى الفترات المهمة من تاريخ هذا البلد أثناء الحرب الباردة حيث يؤرخ لتفاصيل المدينة بما فيها من شوارع وحانات وغير ذلك، وبالرغم من انتماء الكاتب للتيار اليساري إلا أنه انتقد النظام السائد في ألمانيا الشرقية –آنذاك– الذي لا يقدر حرية الفرد وحقوقه ويسلبه إرادته السياسية، ليس هذا فحسب بل تعرض لنمط الحياة في ألمانيا الغربية أيضا، ناقلا الأجواء بين الألمانيتين –الشرقية والغربية– راصدا معاناة الألمان بعد بناء سور برلين خلال فترة الانقسام.وتدور أحداث الرواية حول شاب مصري يُدعى "صادق الحلواني" سافر إلى برلين للعمل في القسم العربي لوكالة الأنباء الألمانية (أ.د.ن)، يحمل معه أحلامه في تحقيق حياة أفضل وآفاق أوسع وفرصة عمل وخاصة بعد الوضع الذي كانت عليه مصر بعد هزيمة ١٩٦٧م، وفي نهاية الرواية تتخذ هايدي قرارا فوريا بالانتحار بعد أن تم تجنيدها من قِبل الأمن في ألمانيا الشرقية للتجسس وكتابة تقارير عما يدور بين الصحافيين العرب وانهيار حلمها بالزواج من نبيل والسفر معه إلى بيروت بعد مشاجرتها معه.ولأنَّ العنوان علامة وسمة للعمل الفني، وهو يعد أهم العتبات التي تكشف عن تعاليق بين النص والعتبة ومفتاحا للدخول إليه، وقد يدل العنوان على مدلولات متنوعة منها الزمان والمكان كما في حال روايتنا التي نحن بصدد دراستها إذ تتسم رواية "برلين ٦٩" بمفتتح مكاني وزماني محدد، فالعنوان جاء موسوما ب "برلين ٦٩" الذي كشف عن دلالات تعريفية واضحة، فالزمان عام ١٩٦٩م والمكان –بالطبع– برلين.

٣. سيميائية المكان في رواية "برلين ٦٩"

يعد المكان أحد العناصر الجوهرية التي تسهم في بناء النص الأدبي، ووحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي والفني، وتتمثل أهمية المكان في كونه المحور الذي توجد فيه العناصر الملموسة والمرئية في الكون، كما أنه يمثل الحيز الأكبر في حياة الإنسان، فيه يعيش، وبه يحتمي، فلا يمكن أن نتصور وجودنا بغير مكان، كما أنه من الطبيعي أن يكون لأي حدث إطار مكاني معين. ويمكن القول بأنه لا يمكن أن يكون هناك عملا أدبيا بدون مكان يسبح بداخله. ويلعب المكان دورا مهما ثنائيا في حياة الإنسان فيقدر ما قد يمنحه الشعور بالراحة والسعادة قد يمنحه القلق والخوف والنفور. وتختلف الأماكن شكلا وحجما ومساحة منها الضيق المغلق والمتسع المفتوح والمرتفع والمنخفض والمتصل. ولا شك في أن المكان الروائي مكان مجازي تصنعه لغة الرواية، ولا يصح مطابقته بالمكان الطبيعي الواقعي مهما بالغ الروائي في الإيهام بتطابقهما، وبالرغم من ذلك فإن المكان الروائي يحوي الكثير من الصفات المتوفرة للمكان الطبيعي، فهو مثله موضع ثابت محسوس قابل للإدراك حاوٍ للشيء المستقر، كما أنه متنوع مثل المكان الطبيعي شكلا وحجما ومساحة، ويعتمد الكاتب بصورة رئيسة على الوصف باعتباره الوسيلة الأولى في بناء المكان الروائي، وهذا الوصف يتراوح بين الوصف الفوتوغرافي الذي يصور الأشياء كما هي، والوصف التعبيري الذي يصور الأشياء من خلال إحساس المرء، والثاني أغلب وأعم في الرواية وبالنظر في رواية "برلين ٦٩" نجد المكان بمثابة فضاء تتعلق فيه الدلالات، استقاها المؤلف من بيئة أجاد رسم معالمها، فهي عبارة عن مركز تلتقي فيه روافد متنوعة، منها ما هو جغرافي، ومنها ما هو تاريخي، ومنها ما هو أدبي وغير ذلك تتكتل جميعًا لبناء عالم لسكان البشرية، بالإضافة إلى كونها فضاء لرؤى المؤلف وفلسفته إذ عمل على سبر أغوار الواقع الاجتماعي والروحي والنفسي، وذلك بالكشف عن الأدوار التي تؤديها الشخصيات والتي تحرك الأحداث وفق مسار دلالي معين، يتعين عليه تحديد وظائف المكان وأبعاده الدلالية.والدارس لموضوع المكان في الأدب لا يستطيع أن يحيط إحاطة تامة بأنماط المكان كلها وذلك لصعوبة إرساء قاعدة جامعة مانعة تشمل تنوعات المكان واختلافاته. وجاء تقسيم المكان إلى أنواع لضرورة تقتضيها عملية البحث والدراسة لذا فقد اعتمدنا تقسيم الأماكن إلى المكان المغلق، والمكان المفتوح، المكان المعادي، المكان الأليف.

٣.١. الأماكن المغلقة

هي "المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كمكان العيش والسكن الذي يأوي إليه الإنسان ويبقى فيه فترات من الزمن سواء بإرادته أو إرادة الآخرين، لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، لذلك قد يكشف عن الألفة والأمان وقد يكون مصدرا للخوف والذعر . وللأماكن المغلقة تأثير في حياة الإنسان فهي تبعث فيه إحساسا خاصا حيث ينطوي فيها ليبعث فيه الأمل والارتياح والمتعة . وقد تكون هذه الأماكن الملجأ أو الحماية للإنسان بعيدا عن صخب الحياة أو تكون مرفوضة لصعوبة التعايش فيها.ومن الأماكن المغلقة التي جاء ذكرها في رواية "برلين ٦٩":"المسكن" إذ قامت وكالة الأنباء الألمانية بتوفير شقة مشتركة للعمالة الوافدة لديها في أحد المباني السكنية الحديثة والمزودة بكافة الخدمات

التي يحتاجون إليها، يقول الراوي:"كان المسكن في الطابق الأول ويتكون من مطبخ على يمين الداخل (مزود ببراد وبوتاجاز بأربع عيون والأواني والأدوات الضرورية) وغرفة صغيرة على اليسار بجوارها غرفة أصغر (للأطفال عندما يفدون) ثم حمام واسع به سخان كهربائي وبانيو بجواره غرفة كبيرة (للأب والأم) في مواجهة باب المسكن عبر صالة صغيرة تطل عليها مرآة كبيرة، وفي مواجهة الحمام غرفة ثالثة كبيرة للمعيشة ببلكونة تطل على ظهر المنزل"يتجسد المكان في هذا النص كعنصر مركزي يعكس تفاصيل الحياة اليومية للشخصيات ويعبر عن طبيعة علاقتها بالفضاء المحيط بها. يُظهر الوصف الدقيق للمسكن كيف يتكون من مساحات وظيفية متكاملة، حيث يُقسم المسكن إلى أماكن محددة، تعكس الأدوار العائلية والاجتماعية. فالمطبخ، كمكان للراحة والتجمع، يتمتع بخصائص عملية (مزود ببراد وبوتاجاز) تعكس الحاجة للغذاء والاهتمام بالمعيشة. الغرف الصغيرة، بما في ذلك غرفة الأطفال، تُظهر الطبيعة الأسرية والحاجة إلى الألفة والاحتواء، بينما الحمام واسع الحجم يوحي بالراحة والرغبة في الاسترخاء. من ناحية أخرى، تشير الغرفة الكبيرة المخصصة للأب والأم إلى المساحة الخاصة التي تضمن الحميمية والخصوصية. بلكونة المعيشة المطلة على ظهر المنزل تضيف بُعدًا جماليًا ومشاهد خارجية، مما يعكس انفتاح أفراد الأسرة على العالم الخارجي. إن كل هذه العناصر مجتمعة لا تعكس فقط مكان العيش، بل تُظهر أيضًا الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصيات، مما يجعل المكان فعلاً شخصية حية تشارك في السرد وتؤثر في مسارات الأحداث. ينطوي النص على بعد موغل من الرفاهية والترف المنشود في تحقيق حياة هادئة وسعيدة، حياة تكفل سبل العيش الطبيعي في الحياة مما يعمل على المحبة والألفة بين المكان والإنسان ويجعله منسجما تمام الانسجام. وعلى الصعيد الاجتماعي فهو يوحي برفاهية العيش ونعيمه إذ تم توفير سبل العيش الرغيد فيه حتى أنَّه نال إعجاب أعضاء القسم العربي (صادق الحلواني وعدنان)، كما انبهر به نويمان الذي يسكن في منزل قديم، ويحلم بالعيش في تلك المباني السكنية الحديثة وتلك التفاصيل الدقيقة التي استخدمها الراوي في سرد المكان وتفاصيله زادت من حركة المكان إيقاعيا.

٣.١.١. الغرفة

قد تكون الغرفة مصدرا للراحة والطمأنينة والشعور بالأمان والدفء والسكينة، إلا أن هناك غرفا قد تكون مصدرا للقلق، "بل تصبح بتشكيلتها المنغلقة والضيقة أماكن وتصبح الإقامة فيها إجبارية" . وبذلك تكون الغرفة مكانا للراحة والسكينة أو النقيض. ومن الغرف التي جاء ذكرها في الرواية:

٣.١.٢. غرفة النوم

تمثل غرفة النوم جزء من أجزاء البيت ذات مساحة محدودة، وتعد "مكانا شخصيا جدا، فيها يتحرر الفرد من كل القيود، وهي تمثل مواطن الأسرار ومستودع الأشياء الخاصة، وهي مرآة صاحبها تصاحبه في السراء والضراء وتشاركه الهموم والأفراح في كل المناسبات والفصول، وهي مكان قراءة القصص الحالمة والنوم الناعس بين أحلامه الدافئة" .

٣.١.٣. غرفة الاستقبال

"هي فضاء منظم وواسع مخصص لاستقبال الضيوف، يرمز إلى المتعة والاسترخاء والهدوء" . وفيهما يقول الراوي"تفقدوا الأثاث العصري البسيط والعملي من الخشب على الطراز الاسكندنافي: أسرّة ومكاتب وخزائن خشبية يمكن فكها وتركيبها ونقلها من مكان إلى آخر بسهولة وشوفاج ...، وفي غرفة المعيشة أو الصالون أريكة (يمكن بسطها في يسر لتتحول إلى فراش لاثنين) إلى جوارها مصباح أرضي على حامل في مستوى ارتفاع الأريكة، وفوتيان بينهما طاولة زجاجية ثم التليفزيون فوق قاعدة خشبية وسجاد صناعي من الحائط للحائط مثبت في الأرضية الخشبية، وكل شيء خارج للتو من مصنعه بما في ذلك الأغطية والألحفة المنفوخة"ينطوي النص على فضاء منظم وواسع مخصص للمعيشة واستقبال الضيوف، يرمز إلى السكينة والهدوء والمتعة والاسترخاء إذ يضم وصفا دقيقا لأثاث البيت الراقي الذي يبعث على الألفة والطمأنينة والراحة النفسية. وبذلك يكون مكانا للراحة الجسدية والنفسية للأشخاص، وقد أكد الراوي على أن الأثاث على الطراز الاسكندنافي المعروف –آنذاك– ببساطة التصميم والأناقة والنقاء. تظهر غرفة الاستقبال كمكان حيوي ينطوي على دلالات عميقة تعكس القيم الاجتماعية والثقافية للأشخاص الذين يسكنون هذا المسكن. يتجلى التنظيم والاتساع في الغرفة كرمز للترتيب والترحاب، مما يعكس رغبة الشخصيات في استقبال الضيوف وخلق جو من المتعة والاسترخاء. الأثاث العصري، المصنوع من الخشب على الطراز الاسكندنافي، يتسم بالبساطة والوظيفية، مما يدل على الحداثة والراحة مع الحفاظ على التقاليد البصرية، ويعكس أيضًا نمط حياة يعلي من قيمة العملية والراحة في الفضاءات الداخلية. وجود الأريكة القابلة للبسط والتحول إلى فراش، يعزز من فكرة المرونة والتكيف، وهو ما يعكس كيفية تفاعل الشخصيات مع مكانهم. تدل العناصر الأخرى، مثل الطاولة الزجاجية والتليفزيون، على

الانفتاح على الحياة الحديثة والتواصل الاجتماعي، مما يجعل غرفة الاستقبال تجسد أكثر من مجرد فضاء مادي، بل تعبر عن عالم من التفاعلات الإنسانية والاهتمامات اليومية، مكونةً بذلك مساحة تعكس الحميمية والانفتاح على الآخر.

٣ـ٤. الجامعة

تمثل مكانا مغلقا حيويا، وهي مؤسسة أكاديمية ومنارة للعلم والبحث العلمي، وهي معقد آمال وطموحات الأنسان منذ كان صغيرا . وقد جاءت الجامعة في سياق الرواية في عدة مواضع، منها ما جاء أثناء حديث صادق مع زميله ماجد عن عدنان، يقول الراوي:"وفي الأسبوع الماضي سافر إلى مدينة لايبزيج ليبحث إمكانية الالتحاق بجامعتها" .جاءت جامعة لايبزيج كمؤسسة أكاديمية يمكن لعدنان من خلالها استكمال تعليمه بها، وهي تشير سيميائيا إلى الانفتاح والنضوج وتبادل الرؤى والمعارف والثقافات وتحقيق الذات وطموحات الفرد.

٣ـ٢. الأماكن المفتوحة

يقول عبد الحميد بورايو: "ونقصد هنا بانفتاح الحيز المكاني واحتضانه لنوعيات مختلفة من البشر والأشكال المتنوعة من الأحداث الروائية وتتصل هذه الأماكن المفتوحة بفضاءات محدودة وغير محدودة كالبحر والغابة والصحراء والشوارع والجسور، وهي بدورها توحي إلى الحرية والانطلاق والانسجام مع الذات" .

٣ـ٢. المدينة

"تعد المدينة واحدة من أبرز معالم المكان المفتوح، وهي ثيمة مكانية تتكرر في النصوص" . وعرَّف مصطفى الكيلاني "المدينة" بأنها منظومة علاقات تختلف بها حياة البشر عن الحياة في البوادي والأرياف، أي منظومة هندسية واسعة متعددة الأشكال ذات وظيفة سيسيولوجية واقتصادية، وتمثل المدينة "مكان النشاطات الاجتماعية المتداخلة والاتصالات ومركز الخلق والإبداع الثقافي حيث تلتقي الفرص تهيئ ظروف التقدم" . وتتميز المدينة بتوافر العديد من المرافق والخدمات متنوعة بالإضافة إلى كثافة سكانها وكثرة تنقلاتهم، ويبحر من خلالها الكاتب ليدون ما يحدث فيها، وقد نجح الكاتب صنع الله إبراهيم في تصوير المكان المفتوح "المدينة" إذ صور لنا حرية تنقل الأشخاص عبر أمكنتها المتنوعة ويمكن للمتلقي ملاحظة ذلك بشكل واضح، ومما جاء في الرواية، يقول الراوي:"قال الطبيب إنه يريد أن يرى القاهرة، أعطيته عنواني في القاهرة وفي برلين، وأعطاني هو عنوانه قائلا: زرت كل البلاد الاشتراكية، ووجدت أحسن ناس في رومانيا والقوقاز، إذا أعجبك شيء في منزلهم أصروا أن تأخذه. هذه روح الشرق"يتضمن النص عناصر متعددة تعكس العلاقة بين الأماكن المختلفة والأفراد من خلال تفاعلاتهم وتجاربهم. بدءًا من إشارة الطبيب إلى رغبته في رؤية القاهرة، يتجسد المكان هنا كرمز للهوية والانتماء، حيث يعكس مدينة القاهرة كمكان يحمل دلالات ثقافية وتاريخية عميقة بالنسبة للشخصيات. تقديم العناوين بين الشخصيتين، سواء في القاهرة أو برلين، يمثل نوعًا من التواصل والترابط، مما يبرز الفكرة بأن الأماكن ليست مجرد مواقع جغرافية، بل هي فضاءات حية تساهم في تشكيل الهوية والتجارب الإنسانية.ويعكس ذكر "كل البلاد الاشتراكية" انفتاح الطبيب على تجارب متنوعة، مما يشير إلى التعزيز المعنوي للقيم الاشتراكية التي قد تعكس رغبة في المساواة والعدالة. بالإضافة إلى ذلك، التعليق "وجدت أحسن ناس في رومانيا والقوقاز" يُبرز جماليات الاندماج الثقافي، الأمر الذي يعكس الرحابة والانفتاح على الثقافات المتعددة. العبارة الأخيرة "إذا أعجبك شيء في منزلهم أصروا أن تأخذه" تعكس الكرم والضيافة، مما يُظهر قدرة الثقافة الشرقية على الترحيب والاندماج. هكذا، فإن الأماكن في هذا السياق ليست فقط مراكز للعيش، بل تنعكس في سرد يأتي معبّرًا عن التجارب الإنسانية الغنية والدلالات الثقافية.لم تعد المدينة مجرد مكان للأحداث بل أصبحت ملتقى التيارات الفكرية، وقد جاءت المدينة في النص كمكان فضائي يرمز للانفتاح والمشاعر الصادقة والدفء ورمزا لكرم وسخاء أهلها.

٣ـ٢. الشارع

الشارع مكان مفتوح، تلتقي فيه "كل فئات المجتمع وتمنحهم كامل الحريات في التنقل وسعة الاطلاع والتبدل، وهي لا تقوم على تحديدات ولا حدوث ثابتة ما يصعب على الكاتب عملية الإمساك بها". وهي أماكن مفتوحة تستقبل كل فئات المجتمع وتمنحهم كامل الحرية في التنقل وهي لا تقوم على تحديدات ولا حدود ثابتة مما يصعب على الكاتب عملية الإمساك بها . وتعد الشوارع "أماكن انتقال ومرور نموذجية، فهي التي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحاً لغدوها ورواحها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها"ويمثل الشارع جزء من العالم الخارجي أو الفضاء دون أن تكون له حواجز أو حدود تحول بينها وبين الخارج عنها، وعرَّف "جيرار جينيت" الشارع بأنه "فضاء مفتوح ومحصور، في الوقت نفسه فهو مفتوح من منفذيه اللذين تأتي وتغادر منهما، وبينهما تتوقف، ونتجول ونلتقي بالآخرين، والشارع يحصرنا ويغلق علينا من جانبيه" . وشهد الشارع حضورا مكثفا في الرواية ومنها، يقول الراوي:"تقله إلى غرفة مفروشة بلحاف منتفخ في شارع كارل ماركس أللية، وهو شارع من البواكي والبنايات التي

أقيمت على الطراز الستاليني في كل عاصمة من أوروبا الشرقية بعد أن حررها الجيش الأحمر من النازيين، ولهذا صار من أهم الشوارع الرئيسة في المدينة"جسد شارع كارل ماركس أللیه هنا دلالته التاريخية والسياسية حيث أشار إلى حقبة هامة من تاريخ ألمانيا خلال القرن الماضي. وقد ظهرت جمالية ذلك الشارع من حيث الأصالة والتاريخ الذي يتسم به. يُظهر هذا الشارع، الذي يتميز بالبنايات التي أُقيمت على الطراز الستاليني، الترابط بين العمارة والهوية الثقافية حيث يُعكس تأثير الحقبة السوفيتية على المدن التي انتعشت بعد الحرب العالمية الثانية. فعندما يُشار إلى "شارع من البواكي والبنايات"، فإن ذلك يوحي بالحضور القوي للتاريخ والماضي، مما يجعله نقطة التقاء بين الأفراد والثقافات. كما يضيف ذكر "الجيش الأحمر" و"النازيين" دلالات سياسية تعكس الصراع ودور المكان في إعادة تشكيل الهويات الوطنية. هكذا، يختزل هذا النص المكان كفضاء معقد يحمل في طياته معاني تاريخية وثقافية، مما يُثري من التجربة الإنسانية ويعزز من الوعي بالهوية في سياق أكبر.

٣ـ٣ـ٣. القرية

القرية هي "الحيز الجغرافي المكاني الخصب الذي يؤثر في الإنسان ويشده إلى الأرض، وتتميز جغرافيا بامتداد حقولها، وبساطة أبنيتها التي تعكس بساطة أصحابها" . يقول الراوي عن إحدى القرى التي رآها في رحلته في برلين:"ثم مررنا بقرية بدت ميتة تماما ومنازلها الخشبية المتجاورة متلاصقة وذات وجهات ممسوحة بلا أي بروز، ولم نر فيها أحدا في الشارع" هناك صورة قاسية للقرية، حيث تُظهر "ميتة تمامًا" كناية عن فقدان الحياة والحيوية، مما ينقل شعورًا بالانكسار والركود. تُبرز منازلها "الخشبية المتجاورة المتلاصقة" طبيعة الحياة القروية التي تفتقر إلى الفضاء والحرية، ويُشير استخدامها للخشب إلى البساطة والفقر. أما "وجهات ممسوحة بلا أي بروز"، فتحمل دلالات على غياب التميز أو الهوية، مما يُعزّز من إحساس الملل والركود الذي يُعاني منه المكان. عدم رؤية أي شخص في الشارع يساهم في خلق جو من العزلة والوحدة، مما يجعل البيئة القروية مكانًا طاردًا وشفافًا، يعكس بدوره الألم والمعاناة التي يشعر بها سكانها. هكذا، فإن المكان يصبح تجسيدًا للانهيار الاجتماعي وغياب الحياة.تتصف القرية بسمات عدة تميزها عن المدينة، فمن المعروف أن مجتمع القرية مجتمع صغير متماسك متعارف متضامن يكاد يكون أسرة واحدة ، وقد جاءت القرية هنا للدلالة على السكون والشعور بالملل ورتابة الحياة حتى أنَّها بدت بلا روح ولا حياة فيها.

٣ـ٤ـ٣. البحر

هو مكان للمتعة، يمتاز البحر بالاتساع والامتداد، ومياهه الزرقاء تعبر عن الصفاء وتساعد على الراحة والطمأنينة وطرد الهموم والأحزان، ولقد شكل البحر لدى الأدباء هاجسا من هواجس الكتابة الروائية إذ أنه "أكثر القوى الكونية مهابة وجمالا وهو مكان لا متناهي واتساع هائل ومصدر رزق وحياة للإنسان" . ومما"تحرك القطار أخيرا وظهر نفس المفتش الذي قرض تذكرتي في القطار السابق، كان ما زال باسما، (...) طلب من عجوزتين جلستا بجواري أن ترشداني عندما نبلغ جوتا، وجاذبتهما عجوز أخرى تجلس أمامي الحديث بصوت عال سمعته العربة كلها، قائلة إن الأوستزي، بحر البلطيق، لا يضارعه مكان آخر لقضاء العطلات"وقد جاء البحر "بحر البلطيق" كفضاء مكاني مفتوح دال على السحر والجمال إذ يجذب إليه مريديه لقضاء العطلات على شاطئه حيث يتيح لهم متعة الاستمتاع واللهو والمرح، وهو بذلك يعطي للإنسان متعة وارتياحا وهدوءا نفسيا كبيرا مما يجدد من نشاطه ويجعله قادرا على مواصلة الحياة. وبالإشارة إلى "الأوستزي، بحر البلطيق"، تتجلى علامات المكان كفضاء حضاري يرتبط بالاستمتاع والاسترخاء، حيث يمثل البحر رمزًا للراحة والعطلات، مما يضفي جاذبية على المكان الذي يسعى الشخصيات إلى الوصول إليه. لذا، فإن هذا النص لا يبرز فقط حركية القطار، بل يُظهر أيضًا كيف تُثري الأماكن المختلفة قدرة الأفراد على التواصل وتبادل التجارب، مكونةً شبكة من التجارب الإنسانية المرتبطة بالترحال والاستكشاف.أما البحر الأبيض المتوسط فقال عنه الراوي:"ليس من الصعب معرفة ما كان يدور في أذهان الشبان المصريين الذين ابتلعتهم مياه البحر الأبيض المتوسط طوال سنوات التسعينيات من القرن الماضي والعشر الأوّل من القرن الجديد أثناء محاولة التسلل إلى البلاد الأخرى" بالرغم من جمال البحر وسحره إلا أن البحر الأبيض المتوسط هنا حمل دلالة الاضطراب والتيه والخوف والرهبة والسعي إلى تحقيق الأمنيات عبر الحصول على فرصة عمل أفضل في إحدى البلاد الأوروبية. يُظهر استخدام عبارة "ابتلعتهم مياه البحر" دلالة قوية على المخاطر التي يواجهها الشبان المصريون خلال محاولتهم الهجرة، حيث يعكس البحر كفضاء مُعادي يجسد التحديات والصعوبات التي تكتنف الرحلة. تعبر الفقرة عن حزن وألم هؤلاء الشبان الذين يسعون إلى الخروج من واقعهم القاسي، مما يُجسد البحر مكانًا للشغف والأحلام الضائعة. كما أن الإشارة إلى "سنوات التسعينيات والعشر الأوّل من القرن الجديد" تُبرز الصراعات الاجتماعية والسياسية التي دفعتهم للبحث عن فرص جديدة، مما يُعزز من دلالة المكان كأداة تحوّل مؤلمة في حياة الأفراد، ويزيد من تأثير التجربة البحرية في تشكيل هويتهم ومعاناتهم.

٣ـ٣. المكان المعادي

هو المكان الذي "لا يرغب الإنسان العيش فيه كالسجون والمنافي، أو يشكل خطرا على حياته كساحات الوغى، فلا تشعر هذه الأماكن بالألفة والطمأنينة والراحة، بل يشعر نحوها بالعداء والكراهية" . وهي "أماكن قد يقيم فيها تحت ظروف إجبارية كالسجون والمنافي والمعتقلات أو الأماكن التي توحي بأنها مكامن للموت، والطبيعة الخالية من البشر وأماكن الغربة، جميع هذه الأماكن تمثل مكانا معاديا غير مألوف بالنسبة للإنسان، والمكان إذا لم تنسجم معه الشخصية سمي مكانا معاديا، إذ يؤكد ذلك الصلة التي تربط الإنسان بالمكان فتظهر معه الصلة وعواطف الإنسان وانفعالاته، فيؤثر كل منهما في الآخر على وفق علاقة ألفة أو عداء" . ومن أبرز الأماكن المعادية التي جاءت في الرواية:

٣ـ١. السجن

السجن مكان ضيق موحش يؤذي النفس البشرية، يجعل للحياة لونا قاتما غريب يناقض لون الحرية أمّا مكانه فهو يبنى في أماكن بعيدة منقطعة، وأبراج عالية في سعيهم إلى قطع السجين عن العالم كلّه أمّا شكله فمنيعٌ ووثيقٌ ومحكم الإغلاق على نزلائه، رغبة في قطع أي صلة للسجين داخل المعتقل عن العالم الخارجي وراء القضبان المؤصدة وخارج جدران السجون . وَّعرف عبد الملك مرتاض السجن بأنه: "هيكل بنائي أقيم للقمع، وهو هيكل محروس، الظلام فيه أكثر من النور، والقهر فيه أكثر من الحرية، وكل شيء سيء يوجد فيه""استقبلنا مرشد شاب يحمل شارة الحزب الدقيقة في ياقة سترته، ... وقال: أقيم هذا المعسكر في عام المعسكر في عام ١٩٣٧ ليضم معارضي النازي، ويجري تحطيمهم معنويا بالمعاملة الوحشية تعرض ١٨ مليون فرد هنا للتعذيب آلاف من الألمان والبولنديين، ولم يعد ١١ مليونا منهم إلى الحرية، إذ ضربوا حتى الموت، ثم أحرقوا في أفران الغاز... تقدمنا إلى ساحة واسعة، كان يجري بها تعداد المساجين والنداء عليهم، وكانوا يجبرون على الوقوف ساعات كل صباح ومساء من أجل ذلك تحت الثلج والمطر، وغالبا ما كان البعض يسقطون موتى أثناء الانتظار الذي يستمر أحيانا ١٨ ساعة، ولا ينتهي الأمر عند ذلك إذ يقادون إلى المحجر لتصفيتهم، فيرغمون على السير وسط صفين من الحراس الذين يضربون بالهراوات أو يطلقون عليهم الرصاص ثم يعملون الرصاص ثم يعملون حفاة في تكسير الأحجار ونقلها، تماما كما حدث للشيوعيين في معتقل أبي زعبل شرق القاهرة منذ سنوات قليلة. احتوت الساحة أيضا على عامود خشبي يعلق السجين فوقه ليجلد بالسياط والأحزمة الجليدية لدينا في مصر أيضا منذ القدم "العروسة" التي تقوم بنفس المهمة"في هذا النص يصور لنا الراوي هذا المكان المعادي (فضاء السجن) تصويرا واضحا، إذ يكتسب السجن دلالات إضافية عميقة تحيل إلى مفهوم أشمل للسجن من كونه مكانا محدودا بمنطقة جغرافية ضيقة توصد بواباته على آلاف الأسرى والمعتقلين وأبعد من صورته السوداوية بوصفه إطارا للقمع والإذلال والترهيب وإفناء الأعمار وراء القضبان، كما أن استراتيجية المكان يزيد من فاعلية التأزم النفسي جراء التعذيب والقهر وسلب الحريات والإجبار على أفعال لا تمت للإنسانية بصلة وما ينطوي عليه من خوف ورعب، هذا المفهوم يجسد الواقع الأليم للسجون في معظم دول العالم، ولأن كاتبنا صنع الله إبراهيم عاش مرارة السجن والاعتقال كحال غيره من الأدباء والمثقفين في مصر والوطن العربي فقد استطاع تصوير حال السجون والزنازين وما يدور فيها من ممارسات لا شرعية تصويرا فوتوغرافيا وضعه نصب القارئ العربي. يُظهر السجن كمكان يُجسد القسوة والاحتقار للإنسانية، حيث يتحول إلى فضاء يُمارس فيه التعذيب الوحشي والانتهاك المستمر لحقوق الأفراد. تشير عبارة "تحطيمهم معنويًا بالمعاملة الوحشية" إلى استخدام السجن كوسيلة لتدمير الروح الإنسانية، مما يعكس دور المكان كأداة للقمع والسيطرة. الساحة الواسعة، التي تُستخدم لتعداد المساجين، تصبح معبرة عن الانكسار والمعاناة، حيث يُجبر السكان على الوقوف لساعات تحت ظروف قاسية، مما يُظهر انعدام الإنسانية وحرية الإرادة.

٣ـ٢. إسرائيل

من أكثر الأماكن المعادية التي لا يشعر الإنسان بالألفة فيها بل يشعر بالعداء تجاهها ويتولد الشعور بعدم الارتياح والطمأنينة لهذا المكان، ووردت في أكثر من موضع في روايتنا منها، يقول الراوي:"قالت إنجمار إنها قرأت كتابا جيدا عن اسرائيل لصحيفة فرنسية يشرح تطور عملية الاستيطان اليهودي في فلسطين وشراء الأراضي العربية، وكيف رددوا أن الكرباج هو الطريق الوحيد للحديث مع العربي، وعلقت: الإسرائيليون مثل النازيين تماما"جاءت إسرائيل مكانا معاديا ورمزا للاحتلال الصهيوني الغاصب، وإلى ممارسات العنف والدمار والقتل والغطرسة الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل وهذا يوحي بمدى معاناة الفلسطينيين تحت مرأى ومسمع المجتمع الدولي بلا حراك والتأكيد على أن تشدق الغرب بمبادئ الحرية والسلام ما هي إلا مزاعم واهية. تظهر إسرائيل كمكان مُعاد، ينقل إحساسًا قويًا بالرفض والعداء من خلال التلميحات التاريخية والسياسية التي يتضمنها النص.

٣ـ٤. المكان الأليف

يعد ارتباط الإنسان بالمكان ارتباطا حتميا، لا انفكاك عنه، وارتباطا نفسيا يدل على توق النفس إلى كل مكان تركته، والمكان الأليف هو كل مكان عشنا فيه وشعرنا فيه بالحماية والألفة، وهو يشكل مادة لذكرياتنا . ومن الأماكن الحنينية التي افتقدها الحلواني "بار ريجال"، ففي أثناء لقاء صادق الحلوني بأحد الأصدقاء المصرين في ألمانيا ويُدعى "حازم النجدي" في مقهى ليندن كورسو. يقول الراوي:"ذهبت إليه بعد انتهاء العمل، طلبت بيرة وشعرت باستهجانه. قلت ونحن نجلس: الشيء الذي أفتقده في برلين هو بار ريجال. تعرفه؟قال: لا، أنا لا أقرب الخمر مطلقا.–في شارع الألفي بار صغير تغطي نشارة الخشب أرضه باستمرار، يأتي لنا النادل ببيرة ستلا الفخيمة ومعها الفول المسلوق بالتوابل يتصاعد منه البخار ومعه نصف ليمونة وصحن ترمس وأحيانا نطلب لحمة رأس من مسمط مجاور. الله!" البار هو مكان مغلق مخصص لبيع أنواع المشروبات الكحولية والخمور وغيرها، ويقصده الناس بهدف الترويح عن النفس، وقد أبدى الحلواني لحازم النجدي حنينه إلى "بار ريجال" الكائن في أحد شوارع القاهرة أثناء تواجده في برلين لما يقدمه من طعام مميز بالإضافة إلى البيرة، وهذا الحنين المتوقد إلى ذلك المكان دليل على ألفة وعلاقة حميمية. يمثل بار ريجال في هذه الفقرة فضاءً مفعمًا بالذكريات والألفة التي يُفتقد وجودها في برلين، حيث يُسهم في تشكيل هوية شخصية تكشف عن القيم الثقافية والحنين إلى الوطن. يُعبر تصميم المكان، المتمثل في "نشارة الخشب" التي تغطي الأرض، عن الطابع غير الرسمي والمريح، مما يُضفي عليه جوًا منزليًا يجذب الزبائن. البار يصبح نقطة التقاء للتجارب الاجتماعية، حيث تُقدّم "بيرة ستلا" و"الفول المسلوق بالتوابل"، مما يُظهر تقليدًا محليًا يُعزز من الترابط مع الثقافة المصرية ويوقظ حنين الشخصيات للمأكولات والتجارب التي تمثل الحياة اليومية.تُعزز المقارنة بين البار ورفض صديق الراوي لشرب الكحول فكرة التباين بين الثقافات والممارسات الاجتماعية، حيث يعكس الإحتفاء بالجو العائلي والتواصل الإنساني في البار كدلالة على الحميمية والانتماء. لذا، فإن بار ريجال لا يُعتبر مجرد مكان لتناول المشروبات، بل هو رمز للحياة الحقيقية والانتماء، مما يجعل له أهمية عاطفية تتجاوز الحضور الفيزيائي.

٤. تقنيات الزمن في رواية "برلين ٦٩"

تعد قضية الزمن في الرواية من القضايا الهامة التي شغلت اهتمام النقاد، فهو مكونا رئيسا لكل سرد روائي ومكملا للنص الروائي، فهو ينظم مادة الحكي بأشكاله المختلفة المطروحة بصيغة التعاقب والتداخل ليرتسم بذلك بنية الحكي الروائي فهو الشخصية الرئيسة في الرواية المعاصرة بما يملك من إمكانات وتقنيات توظف في جسد العمل الروائي من أجل اكتمال ذلك العمل وإبرازه غلى النحو الذي يروم صاحبه إعطاءه إياه . ويشكل الزمن ضلعا من أضلاع الرواية إذ أن العمل الروائي يخلق عالما خياليا يرتبط بعالم الواقع بدرجة أو بأخرى، ويقدم صورة للحياة عن طريق شخصيات معينة وأحداث تقع في مكان معين وزمن معين وإمكان مكانتها تتجاوز ذلك المكان وذلك الزمن. ويعد الزمن إحدى الإشكاليات التي تواجه الباحث في البنية السردية للرواية، وبخاصة أن مفهوم الزمن مجرد والسعي إلى إدراك كنهه ضرب من العبث، وتنبع الإشكالية من تعدد الأزمنة، فثمة زمن مضى قبل الكتابة هو زمن الحكاية، وزمن حاضر هو زمن السرد أو التدوين، وقد يتداخل الزمنان، بينما يختلف عنهما زمن ثالث هو زمن القراءة، وهي الفترة التي سيقضيها القارئ حتى ينتهي من قراءة روايته، ولذلك ينبغي التفريق بين الزمن الطبيعي وزمن الحكاية، فالزمن الطبيعي زمن خطي متواصل يسير كعقارب الساعة، أما زمن الحكاية فهو زمن وقوع الحدث قياسا إلى الزمن الطبيعي: الماضي البعيد أو القريب، المحدود أو غير المحدود وتأتي أهمية الزمن في السرد من كون هذا النوع من البحث يفيد في التعرف على القرائن التي تدلنا على كيفية اشتغال الزمن في العمل الأدبي وذلك لأنَّ النص يشكل في جوهر وباعتراف الجميع بؤرة زمنية متعددة المحاور والاتجاهات ".ويرى سعيد بنكراد أن "لا وجود للزمن إلا داخل ما تقوله الحكاية وما تقوم بتمثيله وتنشر تفاصيله في أحداث محددة من حيث العدد ومن حيث حجم حالات الافتراض الاستيهامي داخلها"تنتمي رواية "برلين ٦٩" إلى الزمن القديم وما يحمله من مشكلات وصعوبات معيشية وعدم القدرة على الوصول إلى المبتغى وحياة الرفاهية التي يصبو إليها كل إنسان، وقد لعب الزمن في الرواية دورا كبيرا ومحورا أساسيا ونقطة نظمت حوله الأحداث بدءا من نقطة الانطلاق إذ أعطى الزمن للأحداث صبغة خاصة تدل على الحين الذي وقع فيه الحدث ولدراسة الزمان سيميائيا في رواية "برلين ٦٩" قُسم الزمان في الرواية إلى:

٤.١. المفارقات الزمنية (الاسترجاع، الاستباق)

تكون المفارقة السردية إمَّا "استرجاعا لأحداث ماضية أو تكون استباقا لأحداث لاحقة، وكل مفارقة سردية يكون لها مدى واتساع؛ فمدى المفارقة هو المجال الفاصل بين نقطة انقطاع السرد وبداية الأحداث المسترجعة أو المتوقعة، وفي ذلك يقول جيرار جينيت: إن مفارقة ما يمكنها أن تعود إلى الماضي أو إلى المستقبل وتكون قريبة أو بعيدة عن لحظة الحاضر أي عن لحظة القصة التي يتوقف فيها السرد من اجل أن يفتح المكان لتلك المفارقة، إنَّنا نسمي مدى المفارقة هذه المسافة الزمنية، ويمكن للمفارقة أن تُغطي هي نفسها مدة معينة من القصة تطول أو تقصر وهذه

المدة هي ما نسميه اتساع المفارقة" وتنقسم المفارقة السردية إلى تقنيتين اثنتين هما الاسترجاع والاستباق، وقد اعتمد الراوي على تقنيتي الاسترجاع والاستباق والذي يمنح القارئ فرصة التنقل بين أبعاد الزمن الروائي في حركة تلقائية طبيعية في محاولة لكسر رتابة التسلسل الزمني دون أن يشعر القارئ بالتحول المفاجئ وتغير الزمن الروائي.

٤.١. الاسترجاع

ويقصد بالاسترجاع "مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة من خلال استعادة واقعة، أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة" . وتتمثل وظائف الاسترجاع في–ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه.–إعطاء معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت عالم القصة.–اطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد.–الإشارة إلى أحداث سبق للسرد تركها من قبل.–اتخاذ الاستذكار وسيلة لتدارك الموقف وسد الفراغ الذي حدث في القصة.–العودة إلى أحداث سبق إثارتها برسم التكرار الذي يفيد التذكير .وقد وردت في الرواية عددا من الاسترجاعات الزمنية، جاءت للتعبير عن حالة شعورية ذات ارتباط وثيق بالحدث المسترجع وذلك لتعدد الأحداث في الرواية إذ اعتمد الكاتب على أسلوب الاستطراد في الرواية ممّا أثر على التسلسل الزمني للأحداث.ومن ألوان الاسترجاع التي جاءت في ثنايا رواية "برلين ٦٩" لدى إنجمار عند لقائها بصادق الحلواني أثناء تناولهما طعام العشاء في أحد المطاعم:عادت بها الذاكرة إلى سنوات الحرب وما بعدها مباشرة: تُبادل السكر عند بوابة براندنبورج بالسجائر الأمريكية ثم تسافر إلى بوتسدام وتُبادل السجائر بخبز روسي تقطعه شرائح وتدهنها بدبس السكر ليباع للمستحمين على شواطئ البحيرات في محطة هرمان شتراسه وفي الشتاء تبادله بالقداحات ثم تذهب إلى ماجدبرج لتبادله بالسكر وتعود بالسجائر الأمريكية وهلم جرا"يستخدم النص تقنية الاسترجاع من خلال استحضار ذكريات شخصية تتعلق بفترة الحرب، حيث تترابط الأحداث في سياقات زمنية متعددة تتعلق بالتبادلات التجارية والظروف الاقتصادية الصعبة. تبرز العبارات المعبّرة عن تبادل السلع، مثل السكر والسجائر والخبز الروسي، تذكيرًا بتجارب صعبة وصراعات ماضية، مما يعكس التوتر بين الماضي والحاضر وتأثيره على الهوية الشخصية. يوفر هذا الاسترجاع للقراء فهمًا أعمق للظروف التي شكلت حياة الشخصيات وعلاقتهم بالزمن.إن تلك الومضة الاسترجاعية توحي بمدى معاناة إنجمار كغيرها في الحصول على متطلبات الحياة المعيشية وكم الصعوبات التي كانوا يتعرضون لها خلال الحرب لتوفير ما يحتاجون إليه من ضروريات الحياة، وتبرز –هنا– شخصية إنجمار القوية المثابرة على الحياة من أجل العيش في هذا الوضع المؤلم جراء الحرب.

٤.٢. الاستباق (الاستشراف)

الاستباق هو "حالة توقع وانتظار يعايشها القارئ أثناء قراءة النص بما يتوفر لديه من أحداث وإشارات أولية توحي بالآتي، ولا تكتمل الرؤية إلا بعد الانتهاء من القراءة؛ إذ يستطيع القارئ تحديد الاستباقات النصية والحكم بتحققها أو عدمه" . أو هو "مفارقة زمنية تتجه بالحكي نحو المستقبل بالنسبة للحظة الراهنة" ، ويعد حضور الاستشراف أقل في الرواية من الاسترجاع، وذلك يرجع للأسباب التالية: تعارضه مع فكرة التشويق التي تميز القصة، عدم انسجامه مع المتخيل التقليدي للسارد الذي عليه أن يكتشف أحداث القصة في الوقت نفسه الذي يحكيها فيه؛ لذا يمكن أن يكون أكثر أشكال الحكاية ملاءمة لتلك التقنية الزمانية هو الحكاية بضمير المتكلم .ويشير حسن بحراوي إلى أن الاستشراف بمثابة "تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة يجري الإعداد لسردها من طرف الراوي، فتكون غايتها في هذه الحالة جعل القارئ على توقع حادث ما (....) كما أنها قد تأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات" . "وقد يكون هذا الاستباق أو الاستشراف عبارة عن تنبؤات لا تخرج عن الإطار العام للسرد داخل الرواية فيكون استباقا داخليا، أمَّا إذا خرج الاستباق في مداه عن السرد العام فيسمى استباقا خارجيا"ومن بين الاستباقات التي جاءت خلال ثنايا أحداث الرواية، في الحوار الذي دار بين صادق الحلواني وزميله فخري أثناء تناولهما طعام الغذاء في أحد المطاعم، يقول صادق:"جرعت كوب من البيرة ثم سألته: ماذا تنوي في المستقبل، هل ستعود للعراق؟– أنت ترى ما يحدث للأكراد. التحالف الحالي مع البعثيين لا يضمن أن ينقلبوا علينا في أي وقت فهذا تاريخهم. أظن أني سأقيم هنا إلى الأبد. زوجتي ألمانية وتعمل في التمريض. وهي مهنة جيدة. وهناك أولادي أيضا. التعليم والصحة متوفران لهم ومسقبلهم مضمون"تتجلى تقنية الاستباق في الحوار بين صادق الحلواني وزميله، حيث يُطرح السؤال حول مستقبل فخري وما إذا كان سيعود إلى العراق. تعكس الإجابة التي تربط الوضع السياسي الحالي للأكراد برغبة فخري في الاستقرار في ألمانيا رؤيته للمستقبل في ضوء التجارب السابقة. تُشير العبارات التي تتعلق بزوجته الألمانية ومهنة التمريض، بالإضافة إلى ضمان تعليم أولاده وصحتهم، إلى تأكيده على اختيار البقاء، مما يعكس تطلعه لمستقبل آمن وواعد.هذا الاستباق في التفكير يكشف عن القلق المستمر بشأن الوضع السياسي في العراق، ويعكس نظرة شاملة حول تحول هويته وانتمائه بين ثقافتين. يظهر هذا التوتر والتناقض بين الماضي المليء بالانتماء والتحديات، ورغبة قوية في بناء حياة جديدة تعكس الأمل والاستقرار. باختصار، تستخدم الفقرة الاستباق ليس فقط لتوقع الأحداث المستقبلية، بل لتسليط الضوء

على التغيرات العميقة في حياة الشخصيات ودوافعهم.هذا الاستقبال يجعل القارئ بدوره في حالة من الترقب لما ينوي فخري فعله في المستقبل، هل سيظل مغتربا في ألمانيا ويبقى الحال كما هو أم ينوي الرحيل والعودة إلى وطنه العراق ثانية واستكمال طموحاته هناك؟ هذا الانتظار والتوقع –بلاشك– يثير اهتمام القارئ ويجذبه.ومن الاستباقات –أيضا– ما جاء في البطاقة البريدية لصادق الحلواني، يقول الراوي:"التقطت البطاقة البريدية التي وصلتني في الصباح من هايدي. أعدت قراءة كلماتها الوجيزة: "أنا أحبك يا صادق. خطابك وصل. سأراك قريبا"جاء الاستباق في النص السابق في "سأراك قريبا" حيث التعبير بالسين الدال على الاستقبال مما يثير المتلقي عن موعد اللقاء المرتقب وماذا سيحدث فيه؟

٤.٢. إيقاع حركات الزمن

تسريع حركات الزمن (الخلاصة، الحذف)يمكن الاعتماد على تقنية التسريع عند تقديم المشاهد والربط بينها والتعريف بشخصيات جديدة، ويلجأ إليها السارد غالبا عن قصد، ويتم تسريع حركات الزمن من خلال تقنيتي الخلاصة والحذف كما يلي:

الخلاصة:

تكمن أهمية الخلاصة في "المرور السريع على فترات زمنية لا يرى المؤلف أنها جديرة باهتمام القارئ" ، وفيها "يكون فيه زمن الخطاب أقل من زمن السرد؛ حيث يلخص السارد أحداثا دارت في مدة زمنية كبيرة، تصل إلى أيام أو شهور أو سنوات بدون تفصيل في بضعة أسطر أو فقرات" . يقول الراوي:"تردد على المدرسة بعض الوقت وتلقى دروسا في التانجو والفالس والرقصات الحديثة زاملته فيها نفس الفتاة، وبعد فترة شعر بأنه أصبح قادرا على المجازفة، واشتاق إلى تطبيق ما تعلمه. لم تكن فتيات الدرس يفين بمطلبه؛ لأنه كان يتطلع إلى النساء الناضجات" .هذه الخلاصة بمثابة موجز حول شغف صادق الحلواني بتعلم الرقص في أحد المدارس المخصصة لذلك نظرا لطبيعة الحياة التي يريد أن يعيشها في برلين، وتتمثل الوظيفة الأساسية للخلاصة في تسريع السرد واختزال بعض الأحداث الثانوية التي يراها الراوي بلا جدوى إذ لخص الكاتب فترة زمنية وهي فترة ذهاب صادق إلى مدرسة الرقص، وهذا التسريع يعطي مكانة جمالية ودلالية للبنية السردية في تقريب صورة الأحداث وحضور الماضي في صيغة الحاضر بهدف تسلسل الأحداث. تُبرز الخلاصة التغيرات النفسية والاجتماعية للشخصية من خلال بروز تطور مهاراته في الرقص، مما يُمثل رحلة نحو النضج والثقة بالنفس. تعكس العبارات مثل "تردد على المدرسة" و"تلقى دروسًا" شعورًا بالاستكشاف الداخل، بينما تشير الإشارة إلى "نفس الفتاة" إلى وجود علاقة أو اهتمام متبادل يُعمق من عمق التجربة.ترتبط فكرة "المجازفة" في النص بالنمو الشخصي والرغبة في تجاوز الحواجز، حيث تنتقل الشخصية من مجرد التعلم إلى الحاجة لتطبيق ما اكتسبه، مما يُظهر تطلعاته نحو الحب والعلاقات الجادة. وفيما يُعبر النص عن إحباطه من "فتيات الدرس" بسبب عدم تطابق تطلعاته مع واقعهن، يتجلى بحثه عن "النساء الناضجات" كبحث عن علاقة أكثر نضجًا وعمقًا، مما يعكس احتياجاته العاطفية والاجتماعية المتطورة.

٤.٢.١. الحذف

الحذف هو "وسيلة تعمل على إسقاط فترة زمنية ميتة، يقفز الروائي بالأحداث إلى الأمام، إلى جانب أن الراوي يقوم بحذف زمن لم يقع فيه حدث يؤثر على سير وتطور الأحداث في النص الروائي" . أو هو "تقنية تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث"ويتجلى الحذف بوضوح عندما "يكون جزءا من القصة مسكوت عنه في السرد كلية، أو مشار إليه فقط بعبارات زمنية تدل على موضوع الفراغ الحكائي من قبيل "ومرت بضعة أسابيع" أو "مضت سنتان"وعبَّر الكاتب عن الحذف في عدة مواضع في الرواية، منها ما جاء في خطاب كمال الأخير الذي أرسله إلى صديقه الحلواني، فيقول"... أعيش في حالة من انعدام الوزن. أتكلم مع نفسي كثيرا (عادة قديمة لكنها زادت بشكل مزعج) وأعتقد أني بدأت أتدهور نفسيا إلى حالة من المناخوليا. لا أحد يفهم أو يحاول أن يفهم حتى (...) تبدو غبية جدا وهي تأخذ شكل المدافعة عن كل شيء هنا بل وتأخذ شكل المناضلة الوطنية. أحس هنا أني مخدر وغير مُجد (لنفسي بالطبع فلست أهتم بالآخرين) لم أضف شيئا جديدا لنفسي. كل الأشياء هنا معادة وكئيبة ولا تطاق. أسوأ من ذي قبل"يتجلى الحذف في النص من خلال قطع الكاتب للحديث عن تفاصيل أو مواقف معينة، مما يخلق فراغًا حكائيًا يُعزز من إحساس القارئ بالارتباك والعزلة التي يشعر بها كمال. فالإشارة إلى "انعدام الوزن" و"التدهور نفسياً" دون وصف شامل للظروف التي أدت إلى هذه الحالة، تجعل القارئ يتساءل عن العوامل السابقة التي أدت إلى ذلك.كما ينبه النص إلى مشاعر كمال المتضاربة تجاه البيئة من حوله، لكنه يترك تفاصيل حول تلك البيئة غير مذكورة، مما يعزز من الشعور بالكآبة. تُشير العبارات المختصرة، مثل "لا أحد يفهم" و"أشياء معادة وكئيبة"، إلى وجود ثغرات في التجربة الشخصية لكمال، مما يجعل تأثير الحذف قويًا في توضيح حالته النفسية. هذا الصمت حول الأحداث والخلفيات يُعزّز من تجربة المتلقي، مُشيرًا إلى الصراع الداخلي والشعور بالعزلة في عالم غير مفهوم.لجأ الراوي لاستخدام تقنية علامة الحذف (...) ليشير إلى تعتيم الدلالة وتغييبها، وجاء الحذف المضمر هنا كقفزة بالأحداث إلى الأمام

معبرا عن الحالة النفسية السيئة التي يمر بها كمال وما يعانيه من تخبط وصراع داخلي.ومن الحذف ما جاء في حوار الحلواني وإنجمار، يقول الراوي:"شردت برهة ثم استطردت: لم أعد أعرف رأسي من قدمي. هناك قدر كبير من الكذب في الدعاية الغربية ولكن ... ليست لدينا معلومات كافية. دائما ما كان يقال لنا أشياء وبعد سنوات يقال إنها لم تكن صحيحة. حدث هذا مع ستالين ثم الآن ماو تسي تونج. قيل لنا دائما إنه ثوري ومنظِّر عظيم ثم يقولون الآن إنه مُراجع وفلاح جاهل"إن إسقاط الراوي لما حدث تجسيد بأنه لم يحدث شيء فيها أو ليس هناك ما يستوجب الحديث عنه ولا يمكن أن يحدث ذلك فجوة تخل بالأحداث القادمة. وهو دلالة على التخبط والضياع والتيه الذي عليه إنجمار بسبب تشويه الحقائق أو نشر الشائعات الكاذبة.

٤.٣. إبطاء حركة الزمن (المشهد الحواري، الوقفة)

هو تمطيط الأحداث من خلال سرد حدث معين بكل تفصيلاته لحظة بلحظة، ويتم إبطاء حركة الزمن عبر تقنيتي (المشهد، الوقفة) كما يلي:

٤.٣.١. المشهد الحواري

يمثل المشهد دورا حيويا في عملية السرد، وهو ذلك "المقطع الحواري الذي يأتي في كثير من الروايات في تضاعيف السرد، إن المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق" .ويري جيرار جينيت أن المشهد "حواري في أغلب الأحيان وهو يحقق تساوي بين الحكاية والقصة تحقيقا عرفيا" ."ظهرت بعد لحظات وأشعلت المدفأة ثم عبرت إلى المطبخ، عادت حاملة طبقا من البطاطس المسلوقة وآخر من الفورست، النقانق، وطبقين فارغين لنا.سألتها: ألن يأكل جون؟أجابت وهي تجلس إلى جواري: تعشى عند العجوزتين. أضافت: تعبترانه طفلهما، وكثيرا ما يسبب هذا شجارا بيني وبينهما.–أليس لديهما أبناء؟–كان للكبرى ابن ثم مات فجأة.–والأخرى؟شرحت لي أن الأختين تعيشان سويا منذ أمد طويل، إحداهما فقدت زوجها في الحرب ولم تعرف رجلا بعد ذلك والثانية لم يكن لها رجل، عشرون سنة بلا رجال. سألت في دهشة: لماذا؟ ترهبنتا؟–أبدا. لم يكن هناك رجال كثيرون.–كيف كانت حياتهما إذن؟هزت كتفيها وقالت: نهارا في سكرتارية إدارة حكومية والمنزل بعد الخامسة. ثم تعدان طعام العشاء. تقرآن قليلا ثم تنامان في السابعة في حجرة واحدة" .يمثل هذا المشهد جزءا من الحوار المطول الذي دار بين صادق الحلواني وصديقته الألمانية (إنجمار) حول العجوزتين، حتى أنه يخال للقارئ وكأنه يتابع حوارا حقيقيا يجري على مرأى ومسمع منه، لشدة الإيهام الذي يثيره الحوار المتبادل، وهو يظهر حوارا عقلانيا يغلب عليه الهدوء والرزانة إذ يستطيع كل طرف قول ما يريد وإعطاء الطرف الثاني الوقت الكافي للحوار.

٤.٣.٢. الوقفة

الوقفة هي "تعطيل زمن السرد وتعليق مجرى القصة لفترة قد تطول أو تقصر" . ومن الوقفات التي جاءت في الرواية، يقول الراوي:"استقبله رئيس القسم نويمان وقدمه إلى أعضاء الفريق الذين تلقوه بتحفظ ووجوم: ثلاثة عراقيين: اثنان من الأكراد كما تبين فيما بعد (وتبين أيضا أنهما لا يتبادلون الكلام، لأن أحدهما يتبع حزب البرزاني –الزعيم التاريخي للأمة الكردية– بينما ينتمي الثاني لحزب الطلباني –الذي كان الذراع اليمني للأول قبل أن ينشق عليه بدعاوي يسارية)، أحدهما قصير مدكوك الجسد، وسيم وأنيق الملبس (ماجد)، والثاني طويل القامة، نحيفها، أصلع الرأس (فخري)، أما العراقي الثالث فعربي ضئيل الحجم مكتئب الوجه شديد الانطواء (انقطع عن ابعمل في اليوم الثاني دون مبرر)، والرابع لا ألماني ولا عربي، وإنما من أب عربي وأم ألمانية يدعى قادر ثم الخبير لا نز بيرنبك" تأتي الوقفة الوصفية المتعمدة من الراوي لتعمل على تباطئ حركة السرد من ناحية، ومحاولة التعرف على زملاء العمل عند التعريف به ووصف كل منهم على حدة منذ اللحظة الأولى في اللقاء."ثم انتقلت إلى المطبخ وشرعت في تجهيز الإفطار، سلقت عدة بيضات وفتحت علبة رنجة محفوظة ووضعت مربي وزبدا وقطعة جبن بيضاء (برنزا) اشتريتها من حانوت السلع البلغارية، وهو المكان الوحيد الذي يتوافر فيه الجبن المصنوع من لبن البقر مثل الجبن المصري"يستعين السارد بتقنية الوصف، إذ يعمد إلى وصف شخصيات أو وصف إطار مكاني محدد بالإضافة إلى وجود بعض الوقفات الوصفية التي هي عبارة عن استطرادات ظاهرة ليبقى الوصف تعطيلا لزمنية السرد لفترة قد تطول أو تقصر.

٥. الخاتمة

وهكذا تصل هذه الرحلة في رواية "برلين ٦٩" للكاتب صنع الله إبراهيم إلى محطة الوصول ليتضح لنا من خلالها بعض من النتائج النظرية والتطبيقية نوجزها فيما يلي:تتجلى في رواية "برلين ٦٩" لصنع الله إبراهيم طبقات متعددة من التعقيد السردي عبر الاستخدام المبتكر للمكان والزمان كعناصر رئيسية تشكل النسيج الروائي. تبرز هذه الدراسة أهمية العناصر السيميائية في فهم الأعمال الأدبية من خلال استكشاف كيف يؤثر المكان على الشخصيات وكيف تتداخل الأزمنة المختلفة في بناء السرد.أولاً، يأتي المكان كمكون أساسي يمتد ويتشابك مع الأحداث والشخصيات.

يمثل المكان، سواء كان مغلقًا أو مفتوحًا، فضاءًا حيويًا يعكس الصراعات الداخلية والخارجية للشخصيات. على سبيل المثال، تعكس الشقة التي يسكنها الحلواني إحساسًا بالألفة، بينما تُظهر الأماكن المفتوحة في المدينة شعورًا بالحرية المرتبطة بالفوضى الاجتماعية. هذه الدلالات تعمق فهم القارئ للظروف التي يمر بها الشخصيات، حيث يكشف المكان عن هويتها الاجتماعية والنفسية ويتداخل مع تجاربهم.ثانيًا، الزمن يُعد عنصرًا حيويًا آخر في تشكيل الأحداث. عبر تقنيات الاسترجاع والاستباق، يستطيع القارئ أن يستشرف خلفيات الشخصيات وتجاربها الماضية، مما يخلق عمقًا دراميًا للقصة. تُستخدم تقنيات الحذف والخلاصة لتسريع السرد وإغفال التفاصيل المملة التي لا تؤثر على حبكة الرواية. من ناحية أخرى، تُستخدم الوقفات والوصف الدقيق لإبطاء الزمن وتفصيل اللحظات الحاسمة، مما يُضفي واقعية وتفاعلًا أقوى مع تجارب الشخصيات.

ثالثًا، تبرز العلاقة الجدلية بين المكان والزمان، حيث يتمثل المعنى العميق للأحداث في كيفية تفاعل الشخصيات مع البيئة المحيطة بها خلال زمن محدد. تُجسد الرواية القدرة الكامنة في المكان على تشكيل هوية الشخصيات، وتسهم في عكس معاناتهم وأحلامهم. لذا، يرتبط المكان بالزمن في تفاعلات معقدة تُعزز من هيكلية السرد، مما يُظهر كيف يمكن أن تُشكل جوانب الحياة المختلفة معًا.كما تشدد الدراسة على تأثير السيميائية في فهم المعاني المتعددة للنصوص، حيث أن القراءة السيميائية توضح للعاملين في الأدب كيف أن العلامات والدلالات قد تكشف عن ذات القراءة. يُسهم المنهج السيميائي في تحليل النصوص من زوايا جديدة، مما يُعزز من قيمة الرواية كعمل أدبي يمكن أن يحمل دلالات متعددة ومعقدة ترتبط بتجارب الإنسان الاجتماعية والثقافية.في ختام النتائج، تتضح أهمية السيميائية في تحليل الرواية، حيث تسهم في تقصي الدلالات المعقدة التي تعكس التحولات الاجتماعية والثقافية في فترة الحرب الباردة. إذ تمنحنا الدراسة القدرة على إعادة النظر في العناصر السردية المُدَرَجة في العمل الأدبي، مما يجعل "برلين ٦٩" نموذجًا يُظهر التفاعل الحي بين المكان والزمان، ويلقي الضوء على دورهما الحيوي في تشكيل التجارب الإنسانية.بهذا، ينفتح المجال أمام المزيد من الأبحاث المستقبلية التي تستكشف تأثيرات المكان والزمان في الأدب العربي الحديث، وتحديدًا في الأعمال التي تتناول الموضوعات الاجتماعية والتاريخية المعقدة التي تعكس الهوية البشرية.

المصادر
المراجع

١.ب برلين ٦٩، صنع الله إبراهيم، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤

٢.بناء الرواية العربية السورية، سمر روحي الفيصل، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥

٣.بناء الزمن في الرواية المعاصرة، مراد عبد الرحمن مبروك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، مصر، ١٩٩٧

٤.بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٥

٥.البنية السردية في الرواية، عبد المنعم زكريا القاضي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ٢٠٠٩

٦.بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٩

٧.بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، حميد لحميداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢

٨.تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥

٩.جماليات المكان في الرواية النسوية الأردنية، ذكريات مدحت كمنجي، دار الثقافة، الأردن، ٢٠١١

١٠.حول هموم الرواية (هموم الواقع العربي)، عبد الرحمن منيف، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢

١١.خطاب الحكاية، جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠

١٢.دراسات في الرواية العربية، أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧

١٣.الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٠

١٤.الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، باديس فغالي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٨

١٥.الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصراوي، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤

١٦.السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠

١٧.السيمولوجيا بين النظرية والتطبيق، جميل حمداوي، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظور – تطوان، المملكة المغربية، ط٢، ٢٠٢٠

١٨.سيمياء النص (مراتب المعنى)، سعيد بنكراد، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٨

١٩.الفضاء الروائي، جيرار جينيت وآخرون، ترجمة: عبد الرحيم خزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٢

٢٠. فضاء النص الروائي –مقاربة بنيوية في أدب نبيل سليمان–، محمد عزام، دار الحوراء، سوريا، ١٩٩٦
٢١.في السرد (دراسة تطبيقية)، عبد الوهاب العتيق، دار محمد علي الحامي، تونس، ١٩٩٨
٢٢.في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٩٩٨
٢٣.القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، سشايفر جان ماري، ديكرو، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٧
٢٤.لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر بيروت، ط١٠، ١٩٩٩، مج١٢، مج١٣
٢٥.مختار الصحاح، الإمام محمد بن عبد القادر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط١، ١٩٩٧
٢٦.مدخل إلى السيميائية السردية، سعيد بنكراد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٣، ص٢٦
٢٧.المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، أحمد رحيم كريم الخفاجي، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٢
٢٨.المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣
٢٩.معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٠
٣٠.المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، (د.ط)، (د.ت)، ج١
٣١.مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة، عبد الصمد زايد، الدار العربية للكتاب، د.ط، ١٩٨٨
٣٢.المكان في الرواية البحرانية (دراسة في ثلاث روايات: الجذور، الحصار، أغنية الماء والنار)، فهد حسين، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط١، ٢٠٠٣
٣٣.المكان والزمان في النص الأدبي (الجماليات والرؤى)، وليد شاكر نعاس، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٤
٣٤.منطق السرد (دراسة القصة الحديثة)، عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤
٣٥.نحو رواية جديدة، غريبه آلن روب، ترجمة: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

الرسائل الجامعية

١.الزمن في الرواية العربية (١٩٦٠– ٢٠٠٠)، مها حسن يوسف عوض الله، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٠
٢.سيمياء المكان في الرواية "لعبة السعادة أو الحياة القصيرة" لمراد زاهر، حسيبة مرازقة وناريمان ساطور، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٨– ٢٠١٩
٣.سيميائية الزمان والمكان في رواية موعد في بهو الانتظار ليوسف صواق أنموذجا، حورية قدير وفتيحة قنوني، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب، الجزائر
٤.صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، هنية جوادي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٢– ٢٠١٣.

البحوث والدوريات

١.الاغتراب المكاني في رواية (أضغاث مدينة) لعبد الرضا صالح محمد، جواد سعدون زاده ورحيم بدوي جريح، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة الإسلامية، العدد ٦٧، جزء ١
٢.أنواع المكان الروائي وبناؤه ودلالاته في رواية مرسى فاطمة لحجي جابر (دراسة سيميائية)، سعدية موسى عمر البشير، المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات، العدد الواحد والأربعون، أكتوبر ٢٠٢١
٣.تشكلات الزمن في روايات صنع الله إبراهيم (دراسة تحليلية)، أماني متولي عبده، مجلة كلية الآداب، جامعة أسوان، إبريل ٢٠٢٤
٤.المكان في قصص علي ألفهادي (دراسة تحليلية)، نبهان حسون السعدون، مجلة دراسات موصلية، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العدد ٢٩، ٢٠١٠.